يتضمن صورة سوريا الطبيعية بعد تحريرها من الوجود التركي · هذا التفكك سار في اتجاهين رئيسيين :

ـ الاول تجلى في الارتداد الفعلي لقوى « الحركة » القومية نحو الاطر الاقليمية والقطرية للنضال السياسي ·

ـ والثاني تبدى في التأقلم ، التدريجي ولكن المتعاظم ، مع التقسيم الامبريالي لسوربا الطبيعية،والقبول بالعمل لاقامة « دول وطنية »تشكل الاطار العام لكل قوة سياسية · وقد عنى هذا ان اولوية توحيد البلدان التي عرفت باسم سوريا الطبيعية قد تراجعت لصالح تكوين « الدول » الوطنية ، على ان يعقب الاستقلال العودة الى محاولات توحيد الكيان السوري الممزق ·

وساعد على بروز هذا التيار وتبلوره انتصار الجناح الاقطاعي ـ الاقليمي في « الحركة » القومية ، وانحسار نفوذ الجناح البرجوازي الوليد ، الذي كانت قوته تتعاظم ونفوذه يتزايد ، قبل حدوث الاقتحام الامبريالي ، الذي جاء ليوقف ميلان ميزان القوى داخل الحركة القومية لصالحه ، ثم ليدفع بهذا الميزان ضده ، ولصالح الاقطاع ، لفترة ليست بالقصيرة ·

والواقع ان هذا التطور في « الحركة » القومية قد حدث ضمن اطار تاريخي تجلت ميزته في ان الانفكاك عن تركيا كان ، بحد ذاته ، مهمة ديمقراطية ·

الا ان المحتوى الفعلي لهذا الاطار العام كان سيتجاوز ، بعد انجاز تحرر سوريا الطبيعية من السيطرة العثمانية ، طاقة الاقطاعية السورية ، بل انه كان يهدد هيمنتها السياسية على « الحركة » القومية نفسها ، وهو أمر تجلى في بروز التوجه البرجوازي داخل هذه « الحركة » ، فلم يجد الاقطاع ما يفعله أمام هذه المهمة الديمقراطية التي اجهضها الاقتحام الامبريالي ، سوى التسليم بالامر الواقع ،الذي جاءه بحل للاشكال الذي كان يواجهه (التناقض بين الطبيعة الديمقراطية للتحرر،وبين الطبيعة الاقطاعية للطبقة المهيمنة في الحركة القومية) · وهكذا استسلم الاقطاع السوري في مسألة الاطار الديمقراطي للاستقلال ، مقابل ان تكون له الهيمنة السياسية على الاقطار السورية المختلفة ، فعقد حلفا مع القوى الامبريالية الانجليزية والفرنسية كان جوهره التخلي عن اقامة دولة واحدة فوق اراضي سوريا الطبيعية ·

في هذه الفترة صدر وعد بلفور ، وأخذت بريطانيا تفي بالتزاماتها لليهود في خلق الظروف المادية الضرورية لاقامة دولة لهم فوق أرض فلسطين · لقد كانت مسألة الدولة القطرية تتقدم ، في حين كانت مسألة عروبة فلسطين تتراجع · وكان تبلور الدول القطرية في أمر الساعة في كل مكان من سوريا